مـركز تحقيـق التراث



الجـزء الأول



١٩٨٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطبعة الثالثة مصورة عن الطبعة الثانية المحققة والمصححة بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية والتي أصدرها في عشرين جزءًا وذلك بالرجوع إلى أربعة وعشرين نسخة مخطوطة وإلى كتب التفسير والقراءات وكتب الحديث والإعراب التي رجع إليها المؤلف وخاصة قراءة نافع التي جعلها المؤلف أصلاً لتفسيره ، أما نص الآيات القرآنية فطبعت بالبنط الكبير واتبع في رسمها قراءة عاصم برواية حفص طبقاً للمصحف المطبوع بالدار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثانية

لَعلّنا فى غير حاجة إلى تعريف القرّاء بهـذا التفسير العظيم، بعـد أن عرفوه فى طبعتـه الأولى؛ فأقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير. إذ لم يكد يخرج منه جزء حتى تهافت عليه الجمهور، ممن عرفوا فضلَ القرطبي وعلمَه وأدبَه ، ودقّته فى تأويل كتاب الله تعالى ، وعَرْض أقوال الأئمة من جهابذة المحققين، وأُولى البصر بكتاب الله من أعلام المجتهدين .

ولقد رأى القرّاء حين طلع عليهم تفسير القرطبي مبلغ ما بذله مؤلّفه فيـه من جهد كبير، وعناية فائقة ؛ يدلّان على عُمقه فى البحث ، ومقدرته على فهم كتاب الله، و إلمـامه بأصول علوم الشريعـة وفروعها ، من لغـة وأدب و بلاغة . يتجلّى كل أولئك فى استنباطه الأحكام الشرعية من نصوص الآيات الكريمة، حتى ليكاد يستغنى به القارئ عن دراسة كتب الفقه، ثم فى استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب شعرها ونثرها ؛ مما يشهد له بطول الباع وسَعة الأفق .

و إن أُخِذ عليـه شيء فليس إلا هَنَاتٍ يسيرةً ، لا تنقص من مقـداره ، ولا تغضّ من قيمته؛ فقد ينبو الحسام ، وقد يكبو الجواد .

فمن ذلك أنه خالف أحيانا ما اشترطه على نفسه فى مقدّمة كتابه إذ يقول : « ... وأضرب عن كثير من قَصص المفسرين ، وأخبار المؤرّخين ؛ إلا ما لا بُدّ منـه ، ولا غنى عنه للتبيين ... » .

فليس ممـا لا بُدّ منه أو لا غنى عنه ماينقله عن كعب الأحبار : « أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها، فألق فى قلبه فقال : هل تدرى ما على ظهرك يا لوثيا[1] من الأمم والشجر والدواب والناس والجبال ! لو نفضتَهم ألقيتَهم عن ظهرك أجمع . قال : فهمّ لوثيا بفعل ذلك؛ فبعث الله دابة فدخلت فى منخره، فعجّ إلى الله منها فخرجت ...[2] » .

وليس ممـا لا بُدّ منه : « أن الحية كانت خادم آدم عليه السـلام فى الجنة فخانته بأن مكّنت عدوّ الله من نفسها وأظهرت العـداوة له هناك ؛ فلمـا أهبطوا تأكّدت العـداوة وجعل رزقها التراب[3] » .

وليس ممـا لا بُدّ منه ما يرويه عن ابن عباس قال : «سألت اليهودُ النبيَّ صلى الله عليه وسـلم عن الرعد ما هو ؟ قال : مَلَك من الملائكة معه مخاريق من نار يسـوق بها السحاب حيث شاء الله[4] » .

وليس مما لا بُدّ منه ما ذكره عن كلب أصحاب الكهف والاختلاف فى لونه وفى اسمه[5] . ولا ما يرويه عن الزُّهرى فى قوله تعـالى « جاعِلِ الملائكةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » : أن جبريل عليه السلام قال له : يا محمد لو رأيت إسرافيل إن له لاثنى عشر ألف جناح ، منها جناح بالمشرق ، وجناح بالمغرب ، وإن العرش لعلَى كاهله ، وإنه فى الأحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوَصِع[6] ... » .

ولا ما ذكره فى قوله تعـالى : « ويَحْمِـلُ عَرْشَ رَبِّكَ فوقَهم يومئـذٍ ثَمـانِيَةٌ » : أن فوق السماء السابعة ثمانيـة أوعال[7] بين أظلافهنّ ورُكَبِهنّ مثل ما بين سماء إلى سمـاء ، وفوق ظهورهنّ العرش[8] » .

(١) اسم الحوت . (٢) راجع جـ ١ ص ٢٥٧ . (٣) جـ ١ ص ٣١٣ .
(٤) جـ ١ ص ٢١٧ . (٥) راجع جـ ١٠ ص ٣٧٠ . (٦) جـ ١٤ ص ٣٢٠ والوصع : عصفور صغير . (٧) الأوعال : جمع وعل ، وهو التيس الجبلى . (٨) جـ ١٨ ص ٢٦٧

إلى غير ذلك من الأمثلة التى ترِد فى مناسبات مختلفة، جارَى فيها من سبقه من المفسرين الذين ينقلون عن الإسرائيليّات ولا يتحرّون الدّقة فى المعلومات الكونية، خصوصا فى الكلام على خلق السموات والأرض ، وتأويل الآيات التى تتعرض للظواهر الطبيعية ، أو تشير إلى المسائل العلمية .

وللمؤلف فى ذلك كثير من العذر ؛ لأنه — رحمه الله — تابع فيه ثقافة عصره ، وما تجرى به ألسنة العلماء فى ذلك الزمان .

وقد رأت الدار — بعد أن تحقّقت حاجة الناس إلى هذا الكتاب ، ورغبة الكثير من العلماء فى الأقطار الإسلامية فى ذيوعه — أن تقرّر إعادة طبعه تعميما للفائدة .

هذا ، وسيرى القارئ أننا حرصنا على أن تكون هذه الطبعة موافقة لسابقتها فى أجزائها وصفحاتها وأرقامها؛ إلا فى تفاوت يسير، يستطيع القارئ أن يدركه فى الصفحة التالية أو السابقة.

كما أننا نبهنا فى هذه الطبعة إلى أمر لم يكن فى سابقتها ؛ فعندما يذكر المؤلف عبارة : « على ما يأتى بيانه » نوضّح ذلك فى الهامش ، مبيّنين موضعه من الكتاب ؛ حتى يسهل على القارئ متابعة الدراسة ، وربط الكلام بعضه ببعض، دون جهد أو عناء .

ولا يفوتنى أن أنوّه بفضل حضرات الزملاء الذين اشتركوا معى فى تصحيح هذا الكتاب فى طبعته الأولى بعد جزئه الرابع ، وهم السادة : الشيخ إبراهيم اطفيش ، والشيخ بشندى خلف الله، والشيخ محمد محمد حسنين .

والله المسئول أن ينفع بهذا التفسير الجليل ، وأن يجزى مؤلّفه خير الجزاء ، وأن يعين القائمين بنشر التراث الإسلامى من أمثال هذا الكتاب العظيم . وأن يوفّق « الدار » فى تأدية رسالتها حتى تنهض بهذا العبء الكبير، وتقدّم للعالم أجمع خير تراث ترَكه الأقدمون .

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين ؟

مصححه

أحمد عبد العليم البردونى

١٦ من المحرّم سنة ١٣٧٢ (٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٢)

ترجمـــة

أبى عبـــد الله القرطبى

مؤلف هذا التفسير[1]

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فَرْح (بإسكان الراء و بالحاء المهملة)، الأنصارىّ الخزرجىّ الأندلسىّ القرطبي المفسّر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين فى الدنيـا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة . أوقاتُه معمورة ما بين تَوجُّهٍ وعبادةٍ وتصنيف .

مؤلّفاته — جمع فى تفسير القرآن كتابا كبيرا فى اثنى عشر مجلدا، سمّاه كتاب " الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّن من السنة وآى الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلّة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ (وهو هذا التفسير) . وله كتاب "الأسنى، فى شرح أسماء الله الحسنى " . وكتاب " التّذكار، فى أفضل الأذكار " . وضعه على طريقة التبيان للنّووىّ، لكن هذا أتمّ منه وأكثر علما . وكتاب "التذكرة، بأمور الآخرة" . وكتاب "شرح التّقصى " . وكتاب " قمع الحرص بالزهد والقناعة، وردّ ذلّ السؤال بالكتب والشفاعة " قال ابن فرحون : لم أقف على تأليف أحسن منه فى بابه . وله " أرجوزة جمع فيها أسماء النبىّ صلى الله عليه وسلم" . وله تواليف وتعاليق مفيدة غير هـذا . وكان مطّرحا للتكلّف، يمشى بثـوب واحد وعلى رأسـه طاقية . قال صاحب نفح الطيِّب : إنه من الراحلين من الأندلس .

---

(١) عن الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب (مذهب مالك) لابن فرحون ، ونفح الطيب للقرى

شيوخه — سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي بعض شرحه "المُفهِم، لما أشكل من تلخيص كتاب مُسْلِم".

وحدّث عن الحافظ أبي عليّ الحسن بن محمد بن محمد البكرى، وحدّث أيضا عن الحافظ أبي الحسن عليّ بن محمد بن على بن حفص اليَحْصِبيّ وغيرهما.

وكان مستقرا بمنية ابن خَصيب، وتُوُفِّيَ ودُفن بها فى ليلة الاثنين التاسع من شوّال سنة ٦٧١، رحمه الله ورضى عنه.

فهـــرس الجـــزء الأوّل

صفحة

تفسـير سـورة الفـاتحة

وفيها أربعة أبواب :

صفحة